



انتدبوهم للتعليم

حسني عايش / الأردن

لطالما قيل، وعن تجربة وخبرة، إنَّ التَّعليم هو أفضل وسيلة للتعلُّم (The Best way To Learn, is To Teach). وبما أنه يوجد في كثير من الأحيان وفي كثير من المدارس نقص في المعلمين أو المعلمات اللازمين لتعليم مادة معيَّنة، وبخاصَّة في اللغة الإنجليزيَّة، والعلوم، فإنه يمكن تغطية هذا النقص بسهولة وبكلفة بسيطة، وربَّما بنتائج أفضل.

ومن ذلك أنه يوجد -بوجه عام- تلاميذ وتلميذات فاهمون وفاهمات تمامًا لهذه المادة أو تلك، بل قد يتفوقون فيها على كثير من المعلمين والمعلمات، يمكن انتدابهم لتعليمها عندما لا يتوافر المعلم اللازم أو الكفو لتعليمها، ومكافأة التلميذ المنتدب على قيامه بذلك.

يحدثي تلاميذ، وبخاصة في المرحلة الثانوية، عن ضعف معلم اللغة الإنجليزية، أو الرياضيات، أو الفيزياء، أو الكيمياء في مدارسهم وأنَّ أحد زملائهم أو أكثر، يفهمون فيها أكثر منهم، ويستطيعون تعليمها لهم بصورة أفضل، وأنهم يقومون أحيانًا بتصحيح المعلم، فيستحي أو يغضب ويخرجهم من الصف.

لقد ذكر لي تلميذ يتعلم في مدرسة خاصة تبدو بأبنيتها ومرافقها

توافر النَّصاب الكامل للمعلم لكل منها (24 حصة في الأسبوع) فإنَّنا ينبغي أن نفكر بحلول منها إلغاء الصفوف من تلك المدرسة وإلحاق التلاميذ/ التلميذات بالمدرسة المجاورة في القرية الأكبر لتصبح مدرسة مركزية ذات صفوف وشُعب كافية لتعيين معلم مختص لكل مادة فيها، وقد صار ذلك سهلاً بوسائط النقل؛ أو بانتداب أقوى التلاميذ في الصف في المادة الواحدة وتكليفه بتعليم زملائه ومكافأته عليه؛ أو بانتداب أقوى الطلبة في هذه المواد في الجامعات المجاورة وتكليفهم بتعليم التلاميذ فيها، ومكافأتهم عليه. وأعتقد أنَّ تكليف التلاميذ أفضل مرتين لأنهم أقرب عقلاً ونفساً لزملائهم، وأقدر على التَّوصيل. ويجب إضفاء الشريعة القانونية على هذا الترتيب التعليمي ليعمل.

وبهذه المناسبة أفصح للقارئ عن مغزى هذا الأمر في ما يخص تجربتي بحسب قاعدة: علِّم لتتعلم، فقد علِّمْتُ تلاميذاً وتلميذات -كنتُ سنّاً قريباً من سنِّهم- مواد كثيرة: تاريخ، وجغرافيا، وفلسفة، ومنطق، ولغة عربية، ولغة إنجليزية، ومبادئ علم الاجتماع، ومبادئ علم الاقتصاد، ولم يكن علمي في بعضها يزيد عن علمهم. وقد جعلني ذلك أتعلَّم وأتعمَّق في كلِّ منها، واضطرتُّ لبناء مكتبة صغيرة حولها، تحوَّلت إلى مكتبة كبيرة في ما بعد. وبعبارة أخرى تبين أنَّ التعلُّم المتبادل هو أرقى شكل من أشكال التعليم، فالمعلم يعلمُّ التلاميذ ويتعلَّم منهم، والتلاميذ والطلبة يعلمون ويتعلَّمون ■

ومخبراتها وكأنها مدرسة أجنبية أنَّ معلم اللغة الإنجليزية فيها يخطئ كثيراً في اللغة، وأنه يصحَّح في كثير من الأحيان، ولكنه استحي من نفسه في الآخر وقرَّر أن يحطُّ رأسه بين الروس). لقد اهتمَّت المدرسة بالشُّكل وأهملت الجوهر وهو التعليم، لأنها تعتقد أنها وفَّرت شخصاً (يقف) في الصف ويتظاهر بالتعليم، فيما يتظاهر التلاميذ بالتعلُّم.

هؤلاء التلاميذ القلَّة كنز أو نبع لا ينضب لتعويض النَّقص المؤقت أو الدائم في المدرسة (وحتى في الجامعة)، ومع هذا لا ينتبه أو يلتفت إليهم أحد للاستفادة منهم وبخاصة في التعليم، مع أننا كنَّا نمارسه في مدارس الصفوف المجمعَّة وفي دروس الفقه، واللغة العربية، والفلسفة... أيام الازدهار الفكري العربي الإسلامي في العصور الوسطى.

لعلَّ الاستعانة بهؤلاء التلاميذ والتلميذات في المدارس، والطلبة من مثل هؤلاء في الجامعات في التعليم، يزيد في منسوب الفهم عند المتعلمين والمتعلمات، بالإضافة إلى تعميق الفهم عندهم في ما يعلمون، فأنت عندما تعلم تتعلم، لأنك لا تستطيع أن تقف أمام التلاميذ أو الطلبة إذا لم تكن فاهماً لدرسك وقادراً على تقديمه، وجذب انتباههم إليك، ومتجاوباً مع أسئلتهم في الموضوع، باقتدار.

وبما أنه يوجد مدارس ثانوية لا ينجح فيها أحد، لأنَّ قلَّة عدد الصفوف فيها (الشُّعب الثانوية بخاصة) لا تستوجب تعيين معلم مختص في المواد المختلفة لقلَّة عدد الحصص؛ أي عدم